

ملاح أدبية و ثقافية في رسالة أحسائية

عندما كنت طفلا كنت ألاحظ أثناء زيارات العم العزيز الشيخ باقربوخمسين الكثيرة لبيتنا - بحكم الأخوة و الصداقة التي تجمعهم - بالوالد (حفظه الله) لغة مختلفة , فلسانه يكتنزالكثير من المفردات الثرية و المفعمة بلغة أدبية متفردة و أخيلة مٌحلقة حتى ابتساماته كثيرا ما كانت مطعّمة بنكهة الشّعْر , و حالات استماعه للأبيات التي تنشد في الاحتفالات و ترداد استحسانها أو تفاعله البدني من خلال إنصاته و تركيزه عليها ينمّ عن جانب لم ينكشف لي إلا عندما كبرت , و صرت في المرحلة الثانوية لأكتشف أن طودا أدبيا كان بيننا حُبني عنه فارق السن و اشتغالاته الكثيرة في سلك القضاء و هذه الرسالة يرشح منها معالم اهتماماته الأدبيّة و الثقافية و هذا نصّها :

10 ربيع الثاني 387

النجف الأشرف -العراق .

سماحة العلامة الحجّة الشّيخ محمد باقر بو خمسين المحترم .

سلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

سؤالي عن صحّتكم راجياً أن تكونوا و العائلة المحترمة في خير و عافية تشملكم العناية الإلهيّة مقرونة بالخير و الهناء .

أخي العزيز و سيّدي الجليل .

زرت كتابكم الكريم المؤرخ 87 / 2 / 3 و قبلت تلك الأسطر المنمقة بتلك الأنامل الكريمة الطاهرة , و أعدت الكرّة مرة بعد أخرى لزيارتها و لقد هاجت بي الذكريات السّالفة و الأيّام و اللّيلالي الحلوة التي قضيتها في ظلّ أخوتك الصادقة و لقد أصبحت أمام أمر واقع , و على علم قصوري تجاه حقك السّامي و خلل من تسامحي في رسائلي و انقطاعها عنك بمثل هذه المدّة و الآن لم أجد شفيعا أقدمه بين يديك أغلى و أعزّ من خلقك الرّفيّع و نبلك فأقدمه معذرا إليك مما بدى راجيا أن تكون عواطفك السّامية و رسائلك الكريمة دوما سلوة خاطري و أنس وحدتي و حديثي مع حبيب قلبي الذي لا أنساه حفظك الله و رعاك و أقرّ ناظريّ بلقياك .

حبيب فؤادي غير خاف عليك أمر مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام العامّة و أنت ممن آزرها في بدء تأسيسها و شدّد كيانها , فقد تطوّرت المؤسسة هذه و كتب المولى جلّ شأنه لها التّوسّع حتى أخذت تسير في ركب المكتبات العالميّة الكبرى و الآن بلغ مجموع كتبها ثلاثة و ثلاثون ألف مجلّد من بينها كمّيّة من أنفس الآثار الإسلاميّة المخطوطة و مجموعة من نوادر الكتب جرى تصويرها من مكتبات سوريا و مصر و إنجلترا و نحن اليوم نعدّ العدّة لتوسيع بنيانها فقد تمّ استملاك أكثر من ألف و سبع مئة متر من الأرض لإنشاء بناية خاصّة بالكتب المطبوعة تحوي على مخزن للكتب سعة مائة ألف مجلّد و قاعة للمطالعة و قاعة خاصّة بالمؤلفين و الباحثين و بناية أخرى تخصّ لضيافة الواردين للبحث و التنقيب من خارج هذه المدينة المقدّسة و نظراً للواجب الملحق على عاتقي من إدارة شؤون هذه المكتبة الداخليّة و الخارجيّة و توجيه سيرها و تنظيم عملها فقد أخذ منّي جلّ وقتي و لم يدع لي فرصة للتّوسّل إلى أعمالتي الخاصّة و هذا هو السبب الوحيد في تأخّر رسائلي عنك و إلى جانب كلّ هذا كثرت أسفاري و تواليها على الهند و تركيا و لبنان و سوريا للتزوّد من مناهج مكتباتها العامّة و سوف أقوم بعد ثلاث أيّام بزيارة إلى تركيا و لبنان و سوريا تستغرق قرابة شهرين و إنني على يقين من أنّك تقبل عذر هذا المقصّر و سوف يكون لك الفضل بعدم انقطاع أخبارك السّارة عنّي حتى يمنّ عليّ المولى عزّ اسمه بزيارة طلعتك البهيّة و تقبيل أناملك الشّريفة و ما ذلك على الله بعزير .

أمّا بخصوص التّخميس الذي عثر عليه لقصيدة بانث سعاد و عدم معرفة ناظمها فقد خمّس القصيدة هذه أمة كبيرة من الشعراء فالرجاء إرسال بعض الابيات من التخميس المذكور ليتسنّى لنا عرفان ناظمها , و الأفضل ذكر ابيات من أوّلها و آخر ما عندكم و شيئاً يسيراً من وسط القصيدة .

ختاماً أجدّد شكري لكم و أبلغكم أسمى تحيات حضرة مولاي الوالد , و الأخ الشّيخ محمد هادي متمنياً لكم و لأخونا الحسن و إخوته الغرّ الميامين و لسائر الأسرة الكريمة الهناء و السّودد و تقبّلوا فائق التّحيّة .

الرسالة مؤرّخة بتاريخ من ربيع الثاني 1387هـ و تكون موافقة للأثنين 17 / 7 / 1967م .

المرسل :

هو الشيخ محمد رضا بن الشيخ عبدالحسين بن الشيخ ميرزا أحمد بن الشيخ نجف علي الأميني

و كان رحمه الله أوّل مدير لمكتبة أمير المؤمنين في النجف الأشرف و التي أسّسها والده العلامة الموسوعي صاحب موسوعة الغدير و المصنفات الأخرى الشهيرة , وقد نشأ هذا الشيخ في أوساط علمية و كان ساعده أبيه الذي كان كثير السّفر و التنقّل لغرض التبليغ و البحث عن مصادر الكتب سيّما كتاب الغدير فتأثر ابنه بأجواء الكتاب و التّأليف و الاطلاع فشغف به و تفانى في تطوير هذا المشروع و قد تولى إدارة المكتبة ما بين عامي 1953م حتى عام 1970م و توفي عام 2010م و دفن في مقبرة والده الملاصقة للمكتبة .

أما المرسل إليه فهو العلامة الحجة الشيخ باقر بن الشيخ موسى بن الشيخ عبداً بو خمسين رحمه الله - و هنا نورد هذه الشذرة من سيرته و إن كان أشهر من أن يُعرّف - فقد ولد رحمه الله حدود عام 1333هـ في أحضان أسرة مفعمة بالعلم و التديّن , بزغ منها علماء بارزون كان منهم والده العالم و الوجيه الشيخ موسى (1353هـ) و عم والد المرجع الكبير الشيخ محمد بن الشيخ حسين (ت 1316هـ) و ابنيه الشيخين عبد الحميد و طاهر (ت 1341هـ) و كان رحمه الله ناظمة عقد بين ثلاثة أخوة من طلبة العلوم الدينية الموفقين . لذا ما أن تفتحت عيناه فقد تفتحت على ذلك التاريخ الحافل و المتسلسل الذي أهّله بشكل مباشر أن يجد طريقه للنّجف الأشرف و يبدأ مشواره الدّراسي مبكراً بهمة عالية و هو ابن اثني عشر عام تقريباً حدود عام 1348هـ , و إلى جانب عقليته الأليمة فقد ارتبط بأساتذة مميزين و أكفاء طوال مشواره الدراسي كالشيخ حسين الخليفة (ت 1426هـ) و الشيخ فرج العمران (ت 1398هـ) و السيد محمد السيد حسين العلي (ت 1388هـ) و السيّد محمد باقر الشخص (1381هـ) , الشيخ محمد طاهر الخاقاني (1406هـ) و الشيخ عباس الرميثي (ت 1379هـ) و الشيخ محمد جواد الجزائري (ت 1378هـ) و السيد محسن الحكيم (ت 1390هـ) و السيد أبو القاسم الخوئي (ت 1413هـ) , و الشيخ فاضل بن الحسين اللنكراني الكاظمي [1][1] (ت 1402هـ)

(مما كان له أثره على تحصيله العلمي .

و قد ألجأت بعض الظروف الشيخ رحمه للرجوع للأحساء و هو قاب قوسين من بلوغ مراده , فرجع لها مبلاً و مرشداً روحياً , يقوم بأعبائه و مسؤولياته ثم ما لبث أن تسنم القضاء عام 1388هـ و هي مسؤولية ثقيلة حيث كان يقوم بكل أعبائها وحيداً على مستوى الأحساء , دون مساعد لسنين طويلة حتى أثقلته هموماً و متاعبها و نالت من صحته مما جعل المسؤولين يزودونه بمساعد و طاقم داعم في السنوات الأخيرة قبل رحيله عام 1413هـ .

الجانب الأدبي و الثقافي في اهتمامه :

عندما تتصفح قصائد الشيخ باقر بو خمسين رحمه الله سواء تلك الوجدانية أو الرثائية مثلاً ستجدها مختلفة الطابع عن قصائد أبناء جيله أو من سبقه و التي كانت تغلب عليها القوالب التقليدية , بينما ستلاحظ عنده لغة رقيقة و مفردات رقيقة و معالجات مميزة , و هي نتاج قراءات منفتحة متعددة أتاحتها حالة جديدة طرأت على النجف الأشرف إبان وجوده فيها فقد كسر جيل من طلبة العلوم الدينية و هو منهم بل في طبيعتهم بعض القواعد السائدة كازدراء التظاهر بالشعر أو الابتعاد عن العصرنة في القراءات , هي ربما يجدها ابن اليوم أمراً مسلماً لكن وقتها كانت تحتاج لجراءة و إرادة صلبة , وقد أتت تلك الجراءة أكلها فقد أنجبت أدباء بارزين كانوا فواصلاً مهمّة في مسيرة الأدب أمثال السيد مصطفى جمال الدين و الأديب محمد العلي و غيرهم الكثيرين

و هنا أتذكر ملاحظة للوالد الشيخ حسن بن علي البقشي , فقد قال لي لأكثر من مرة : عندما يزورني الشيخ باقر في مقر درسي في مدرسة الخالصة في الكاظمية المشرفة كان يأنس لتصفح ما لدي من كتب و مجلات و أتركه لأعود للمنزل لكنني أرجع و أراه في الصباح الباكر لازال مكباً على كتاب ! و ربما قطع شوط الليل كله بالقراءة و التصفح .

و بالتأكيد هذا النهم القرائي الذي لم يزايله فتارة تجده متوجهاً لمكتبة الإمامين الجوادين بالروضة المشرفة , أو متجهاً للمكتبات التجارية في ناحية القبلة للمشهد الكاظمي الشريف .

و أتذكر هنا لقاء جمعني مع المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي (ت 1433هـ) المؤلف الثري في تاريخ السّير الإسلامية في موسم الحج عام و قد كان بينه و بين الشيخ أخوة و اتحاد روحي فقد أكد لي (أنه لو لا تشجيعه لي في البدايات لما كتبت شيئاً فقد كان يساعدي و يشجعني و قد

أحتاج الكتاب للاستعارة و لم تكن نواسخ الورق متاحة فكان يقتسم معي الوقت لينتسخها معي بالكتابة الخطية) .

و رجوعا للرسالة . :

(سؤالي عن صحتكم راجيا أن تكونوا و العائلة المحترمة في خير و عافية تشملكم العناية الإلهية مقرونة بالخير و الهناء .

أخي العزيز و سيدي الجليل .

زرت كتابكم الكريم المؤرخ 87 /2/3 و قبلت تلك الأسطر المنمقة بتلك الأنامل الكريمة الطاهرة , و أعدت الكرّة مرة بعد أخرى لزيارتها و لقد هاجت بي الذكريات السالفة و الأيّام و اللّيلالي الحلوة التي قضيتها في ظلّ أخوّتك الصادقة و لقد أصبحت أمام أمر واقع , و على علم قصوري تجاه خلقك السّامي و خلل من تسامحي في رسائلي و انقطاعها عنك بمثل هذه المدّة و الآن لم أجد شفيعا أقدمه بين يديك أغلى و أعزّ من خلقك الرّفيع و نبلك فأقدمه معذرا إليك مما بدى راجيا أن تكون عواطفك السّامية و رسائلك الكريمة دوما سلوة خاطري و أنس وحدتي و حديثي مع حبيب قلبي الذي لا أنساه حفظك اﻻ و رعاك و أقرّ ناظريّ بلقياك .)

الرسالة تعكس جانبا من جوانب اهتمام الشيخ الجليل بأرباب القلم و الكتاب فالشّيخ باقر رحمه اﻻ شدّته علاقة وثيقة بوالد المرسل الشيخ عبدالحسين الأميني رحمه اﻻ و قد امتدّت وشائج الصلة بابنه الشيخ محمد رضا و كانت هذه المكتبة [2][2] واحدة من أسباب تلك الصلة و هنا يظهر المرسل مقدار تشوّقه للشيخ باقر رحمه اﻻ و يتذكر أيامهم السالفة و علاقتهم القديمة .

(حبيب فؤادي غير خاف عليك أمر مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام العامّة و أنت ممن آزرها في بدء تأسيسها و شدّ كيافها , فقد تطوّرت المؤسسة هذه و كتب المولى جلّ شأنه لها التّوسّع حتى أخذت تسير في ركب المكتبات العالميّة الكبرى و الآن بلغ مجموع كتبها ثلاثة و ثلاثون ألف مجلّد من بينها كمّية من أنفس الآثار الإسلاميّة المخطوطة و مجموعة من نوادر الكتب جرى تصويرها من مكتبات سوريا و مصر و إنجلترا و نحن اليوم نعدّ العدّة لتوسيع بنيانها فقد تمّ استملاك أكثر من ألف و سبع مئة متر من الأرض لإنشاء بناية خاصّة بالكتب المطبوعة تحوي على مخزن للكتب سعة مائة ألف مجلّد و قاعة للمطالعة و قاعة خاصّة بالمؤلفين و الباحثين و بناية أخرى تخصّ لصيفة الواردين للبحث و

التنقيب من خارج هذه المدينة المقدّسة و نظراً للواجب الملحق على عاتقي من إدارة شؤون هذه المكتبة الداخليّة و الخارجيّة و توجيه سيرها و تنظيم عملها فقد أخذ منّي جلّ وقتي و لم يدع لي فرصة للتوسّل إلى أعمالي الخاصّة و هذا هو السبب الوحيد في تأخّر رسائلي عند و إلى جانب كلّ هذا كثرت اسفاري و تواليها على الهند و تركيا و لبنان و سوريا للتزوّد من مناهج مكتباتها العامّة و سوف أقوم بعد ثلاث أيّام بزيارة إلى تركيا و لبنان و سوريا تستغرق قرابة شهرين و إنّني على يقين من أنّك تقبل عذر هذا المقصّر و سوف يكون لك الفضل بعدم انقطاع أخبارك السّارة عنّي حتى يمنّ عليّ المولى عزّ اسمه بزيارة طلعتك البهيّة و تقبل اناملك الشريفة)

و في هذا الجانب يستعرض المرسل إنجازاته في تطوير المكتبة سواء على صعيد المقتنيات من المخطوطات و رفع قدرتها الاستيعابية من المجلّدات و تجهيزها بقاعات مطالعة و بقسم للباحثين و مضافة للباحثين من خارج النجف الأشرف , أضافة لرحلات التزوّد بالكتب و مناهج تخطيط المكتبات و تصنيفها و هنا إشارة لدور الشيخ رحمه الله في دعم هذا الكيان في تأسيسه و رفده في مطلع هذا المقطع .

(أمّا بخصوص التّخميس الذّي عثر عليه لقصيدة بانت سعاد و عدم معرفة ناظمها فقد خمّس القصيدة هذه أمةٌ كبيرة من الشعراء فالرّجاء إرسال بعض الابيات من التخميس المذكور ليتسنّى لنا عرفان ناظمها , و الأفضل ذكر أبيات من أوّلها و آخر ما عندكم و شيئاً يسيراً من وسط القصيدة)

هذا المقطع فيه إشارة لشغف الشيخ باقر رحمه الله بتتبّع اللطائف و الخبرات الأدبية فقصيدة بانت سعاد و هي القصيدة الاعتذارية التي تلاها كعب بن زهير على النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلّم و التي عرفت بـ(البردة) تم تخميسها مرارا من جمهرة من الشعراء و الشيخ باقر يسأل عن تخميس[3][3] محدّد و الشيخ يستعمله حتى يستبين أي التخميسات هي من خلال معرفة أجزاء متعددة منها كي يتعرّف كاتب هذا التخميس بدقّة .

* (ختاماً اجدّد شكري لكم و ابلاغكم أسمى تحيات حضرة مولاي الوالد و الأخ الشيخ محمد هادي متمنيا لكم و لأخونا الحسن و إخوته الغرّ الميامين و لسائر الأسرة الكريمة الهناء و السؤدد و تقبّلوا فائق التّحيّة)

و هنا يبلغ تحيّات والده العلامة الأميني , و كذلك أخوه الشيخ محمد هادي الأميني[4][4] (ت 2008م رحمه الله) و كما تمنياته بالهناء و السؤدد للشيخ باقر رحمه الله و أبنائه و على رأسهم

الشيخ حسن رحمه الله (ت 1440هـ) .

إفادات من :

الوالد الشيخ حسن بن علي البقشي . الشيخ باقر شريف القرشي رحمه الله . مشاهدات و مسموعات شخصية .

كتب :

إفادات مكتوبة من موقع مكتبة أمير المؤمنين في النجف الأشرف على الشبكة العنكبوتية

الشيخ باقر أبو خمسين (علم و عطاء و أدب) . (الأستاذ الشيخ محمد بن علي الحرز) . أعلام هجر الجزء الثالث (السيد هاشم الشخص) . مطلع البدرين (شيخ المؤرخين الشيخ جواد الرمضان رحمه الله تعالى) . آية الله الشيخ موسى بوخمسين رمز القيادة و المرجعية للشيخ موسى الهادي بوخمسين .